المجنون

لست مجنونا ... مع انهم يقولون انني كذلك .

صحيح انني بين الحين والاخر احلق حاجبي وشعر وجهي كله واسمل رموش عيني واجد لذة في جرح وجهي وحاجبي في اكثر من مكان ... الا انني مع ذلك لست مجنونا ...

لا اتذكر انني حزنت في يوم من الايام كما احزن الان ... اشعر ان احشائي تتآكل ... اشعر بجسمي يضمحل ... لا بل اشعر ان جسمي ينقص قطعة وراء قطعة ... ومع ذلك لا استطيع البكاء .

ابي يبكي ويلطم وجهه ورأسه بكلتي يديه ويصيح : « يا منفيوه ! ... يا منفيوه ! ... يا منفييه يا حبيبتي ! ... قتلك الانعزاليون ! ... لماذا قتلوك ؟ اما تكفيك رصاصة مسدس صغير حتى رموك بقذيفة مدفع .. قتلك المجرمون ! يا ليتني مت معك بدلا من جدتك هوشه ! ... كانت هوشه تحبك لذلك رحلت معك ... يا ليت ابوك عبدالله المجنون مات ولم تموتي انت يا حبيبتي ! » .

كان ابي يبكي ويلطم وجهه ورأسه حزنا على مقتل ابنتي منفييه وامي هوشه . كم اتمنى ان امسك رشاشا واقتل كل عناصر حزب الكتائب المحيطين بالزعتر والذين قتلوا ابنتي منفييه وامي هوشه .

ولكن الفدائيين لا يسلمونني رشاشا ...

لقد ماتت منفييه ... الدماء تسيل من رأسها وصدرها ... رقدت في حضن امي ... منفييه لن تكبر ... سيظل عمرها ثلاث سنوات ...

كانت « منفييه » لان امها نفتها منذ الولادة وستظل منفية ... لن تفتح عينيها ... ولن تملأ البيت ضحكا ... يا الهي ! لن تضحك ضحكتها الحلوة ! لن تركب على ظهري لاحبو بها ... لن الاعبها ابدا ... لن اراها ابدا ...

كانت منفييه محور العائلة : امي وابي وانا ... نضحك اذا ضحكت ... ونفرح اذا فرحت ونحزن اذا بكت ... ونتشاجر مع الجيران اذا ضربها اولادهم ...

غابت الحلوة مع امي الى الابد وانا السبب في رحيلهما ... لو لم اصر ان تتركا الملجأ وتذهبا الى البيت لما اصيبتا بالقذيفة التي تفجرت داخل البيت ... انا القاتل ... انا المجرم ! ... لا هم المجرمون ... هم الذين يقتلون الاطفال ... شريفة ... ومنفييه ... وحسن ... وعلي ...

ولكن ... ما العمل ؟

ما العمل وقد اصبح الان عندي بندقية سرقتها من جارنا ابو محمد ... سوف اتسلل تحت جنح الظلام لانتقم من رجال الكتائب ... ها هو صوتهم ... هذا هو الحارس ... سأفرغ في جسمه كل الطلقات ... وفتحت النار ... ثلاثون طلقة كاملة دخلت جسمه ...

ما هذا ... انني اشعر بلطمة في صدري ... لا ليست لطمة ولكنه « شيش » حديد يدخل صدري ... يؤلمني بل هو الم لذيذ ... اشعر بسائل حار لزج ... اشعر بدوخة ... لا انني نعسان جدا ...

■ ■ ■

● في اليوم التالي ذهبت مجموعة مقاتلة وطهرت الموقع الذي كان الانعزاليون يتمركزون به ... وحملوا الشهيد عبدالله المجنون ودفنوه مع هوشه ومنفييه . ولم يبق حيا سوى العجوز « ابو عبدالله » .

أبو أحمد